لعله يبين

في القرون الثلاثة بل ولا علمت احدا منهم خص لفظ التاويل بهذا ولكن لما صار
تخصيص لفظ التاويل بهذا شايعا في عرف كثير من المتاخرين فظنوا ان التاويل
في الاية هذا معناه صاروا يعتقدون ان المتشابه القران معان تخالف ما
يفهم منه وفرقوا دينهم بعد ذلك وصاروا شيعا والمتشابه المذكور الذي كان
سبب نزول الاية لا يدل ظاهره على معنى فاسد وانما الخطا في فهم السامع نعم
قد يقال ان مجرد هذا الخطاب لا يبين كمال المطلوب ولكن فرق بين عدم دلالة على
المطلوب وبين دلالته على نقيض المطلوب فهذا الثاني هو المنفي بل وليس في القران
ما يدل على الباطل البتة كما قد بسط في موضعه ولكن كثير من الناس يزعم
ان لظاهر الاية معنى اما معنى يعتقده واما معنى باطلا فيحتاج الى التاويل و
يكون ما قاله باطلا لا تدل الاية على معتقده ولا على المعنى الباطل وهذا كثير
جدا وهؤلاء هم الذين يجعلون القران كثيرا ما يحتاج الى التاويل المحدث و
هو صرف اللفظ عن مدلوله الى خلاف مدلوله ومما يحتج به من قال الراسخون
في العلم يعلمون التاويل ما ثبت في صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعا له وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فقد دعا له بعلم
التاويل مطلقا وابن عباس فسر القران كله قال مجاهد عرضت
المصحف على ابن عباس من اوله الى اخره اقفه عند كل اية واساله عنها وكان يقول
انا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تاويله وايضا فالنقول المتواترة عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه تكلم في جميع معاني القران من الامر والخبر وله من الكلام
في الاسماء والصفات والوعد والوعيد والقصص ومن الكلام في الامر والنهي والاحكام
ما يبين انه كان يتكلم في جميع معاني القران وايضا فقد قال ابن مسعود ما من اية
في كتاب الله الا وانا اعلم فيما ذا انزلت وايضا فانهم متفقون على ان ايات الاحكام
يعلم تاويلها وهي نحو خمس مائة اية وسائر القران خبر عن الله واسمائه وصفاته او
عن اليوم الاخر والجنة والنار او عن القصص وعاقبة اهل الايمان وعاقبة اهل
الكفر فان كان هذا هو المتشابه الذي لا يعلم معناه الا الله فجمهور القران لا يعرف
احد معناه لا الرسول ولا احد من الامة ومعلوم ان هذا مكابرة ظاهرة
وايضا فمعلوم ان العلم بتاويل الرؤيا اصعب من العلم بتاويل الكلام الذي
يخبر به فان دلالة الرؤيا على تاويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدي لها جمهور

الناس

٤١

الناس بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه فاذا كان الله قد علم عباده تاويل الاحاديث
التي يرونها في المنام فلان يعلمهم تاويل الكلام العربي المبين الذي ينزله على انبيائه بطريق
الاولى والاحرى وقال يعقوب ليوسف عليهما السلام وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك
من تاويل الاحاديث وقال يوسف رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث
وقال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما وايضا فقد ذم الله الكفار
بقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان
كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله وقال ويوم نحشر من كل امة
فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاءوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما
اماذا كنتم تعملون وهذا ذم لمن كذب بما لم يحط بعلمه فما قاله الناس من الاقوال المختلفة
في تفسير القران وتاويله ليس لاحد ان يصدق بقول دون قول بلا علم ولا يكذب بشيء منها
الا ان يحيط بعلمه وهذا لا يمكن الا اذا عرف الحق الذي اريد بالاية فيعلم ان ما سواه
باطل فيكذب بالباطل الذي احاط بعلمه واما اذا لم يعرف معناها لم يحط بشيء منها
علما فلا يجوز له التكذيب بشيء منها مع ان الاقوال المتناقضة بعضها باطل قطعا
ويكون حينئذ المكذب بالقران كالمكذب بالاقوال المتناقضة والمكذب بالحق كالمكذب
بالباطل وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم وايضا فان من بنى على ما يعتقده من
انه لا يعلم معاني الايات الخبرية الا الله لزمه ان يكذب كل من احتج باية من القران خبرية
على شيء من امور الايمان بالله واليوم الاخر ومن تكلم في تفسير ذلك وكذلك يلزم
مثل ذلك في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان قال المتشابه هو بعض الخبريات
لزمه ان يبين فصلا يتميز به ما يجوز ان يعلم معناه من ايات القران وما لا يجوز ان
يعلم معناه بحيث لا يجوز ان يعلم معناه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا احد من
الصحابة ولا غيرهم ومعلوم انه لا يمكن احدا ذكر حد فاصل بين ما يجوز ان يعلم
معناه بعض الناس وبين ما لا يجوز ان يعلم معناه احد ولو ذكر انتقض عليه فعلم ما ذكروه
ان المتشابه ليس هو الذي لا يمكن احدا ان يعرف معناه وهذا دليل مستقل في المسئلة
وايضا فقوله لم يحيطوا بعلمه اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما ذم لهم على عدم الاحاطة
مع التكذيب ولو كان الناس كلهم مشتركين في عدم الاحاطة بعلم المتشابه لم يكن
في ذمهم بهذا الوصف فايدة ولكان الذم على مجرد التكذيب فان هذا بمنزلة ان